المفاهيم الاقتصادية عند الإمام النورسي

مفهوم الحاجة

د.حسن عبد الله حمد النيل(*)

قال الإمام سعيد النورسي رحمه الله:

"إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة ، والثمرة أكمل الأجزاء وأبعدها عن الجرثوم،

وأجمعها لخصائص الكل ...وهي التي من شأنها أن تبقى وتستبقى..."

(المثنوي العربي النوري)

المقدمة:

هذا الورقة من هُدى الإسلام، وهي بعنوان المفاهيم الاقتصادية عند الإمام النورسي "مفهوم الحاجة" لتجتذب القراء المهتمين به، أو تغيب ليمضى سبيلها بين سائر القراء الذين تعنيهم رسائله (رسائل النور). ذلك أن الشائع في مثل هذه الورقات يغلب فيه المقتبس من رسائله أو المستمد من هديها. وتلك ثقافة تأصلت من المؤتمرات التي تقام لهذا الداعية الكبير سعيد النورسي(١) ورسائله التي تنورت برؤى العقلانية الإنسانيّة

(*) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، قسم الثقافة الإسلامية. ramz_39@hotmail.com

(١) ولد سعيد النورسي سنة ١٢٩٤هـ الموافقة لسنة ١٨٧٧م في قرية (نورس)، التابعة لولاية (بتليس) الواقعة في شرق الأناضول بكردستان تركيا. هو من أسرة كردية متوسطة الحال، وعلى قدر كبير من التدين، والده "ميرزا بن علي"، والدته "نورية بنت ملاّ طاهر"، تكونت شخصيته في وقت مبكر وظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ، وتميز عن أقرانه بحب الإطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، سلك سعيد مسلك أخيه الأكبر (الملا عبد الله) في توجهه إلى طلب العلم، كان ميل النورسي إلى طلب العلم قويا منذ نشأته الأولى، عمل مدرساً لمدة خمسة عشر عاماً في مدينة وان وهناك بدأ دعوته الإرشادية التربوية.انتقل إلى استانبول لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة

المتصلة بالغيب والدين مجردة عن الأهواء وحاجات الدنيا، فامتدت إلى أوساط الأمة المسلمة المستضعفة لاسيما في حياتها العامة التي كانت ثغراً للغزو الثقافي إذ ضعف الدين في ذلك العهد. فكانت وارداً غريباً لابد أن يُنسب لأصله لتتميز عن السائد المعروف وأن يثار ذكرها، لكنها ومثلها ليست إلا مجاهدات التحرر من عقدة تغريب الإسلام وأفكاره، ومن ثمرات اليقين بأنّه حق متى وافته الصحوة والدعوة بعد الغفلة العارضة ظاهر على الدين كله.

الداعية المصلح النورسي نحسبه مخلص لله ودينه ولا نزكيه على الله، يتفاعل مع الشعوب وقواها المتصارعة، وأحوال الشعوب، فيسر بسرورهم، ويؤلمه قلقهم، لذا عني بالإنسان وقضيته وحاضره ومستقبله عناية كبرى، وتأمل تأملاً عميقًا بحقيقة الإنسان من خلال ثقافته القرآنية ومعرفته بشرائع دينه وآدابه. وتحدث عن الإنسان في رسائل النور في موضوعات مختلفة. فآلمه ما آلت إليه الثقافة الغربية من تراث أفكار يونانية وأعراف رومانية وتقاليد مسيحية خاصة، ولمس آفاتها ونقائصها ومقتل الداء فيها، بقيامها على النزعة المادية الطاغية، والفردية القاتلة، والتصور بأن الإنسان مجرداً، لا يهمه إلا إشباع مطالبه المادية ولذته الذاتية، وأهوائه المسيطرة، مع قطع الصلة بالروحانيات والمعنويات والنزعة الدينية الفطرية التي هي كائنة بالفطرة في كل نفس إنسانية. ولم تقتصر مفاهيم تلك الثقافة على أهلها، وإنّما انتشرت في العالم الإسلامي وغيره بسبب المارقين على

الجامع الأزهر بمصر، يجدُ الدارس لِمؤلَّفات الشيخ النورسي أنَّها كتبٌ جادَّة عميقة الفكر، ليست للقراءةِ العادية أو للمطالعة بقصدِ قضاء الوقت! وإنَّما هي كتبُ دعوة تَهدف إلى إيجاد الارتفاعِ الفكريِّ في المسلمين بطريقة التلقي الفكري. فهي كتبٌ وضَعَها الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ بقصدِ تكوينَ الشخصية الإسلامية في الفرد المسلمِ وتحويله إلى جزئيَّة صالحة في جماعة المسلمين. ولقد تنوَّعت مؤلفاتُ الشيخِ النورسي في مختلفِ مجالات الحياة تنوُّعاً إنشائياً ارتقائياً يوجدُ النظرةَ الشمولية العامَّة والمركَّزة لِمعطيات الحاضرِ وتفسيرها من زاويةِ الرؤية الإسلامية. وهي بِحَقٍّ في نظرِ الْمُنْصِفِ مدرسةٌ انصهرت في معطياتِ الماضي من ميراث العلماءِ لِتَشبِكَهُ في عطاءٍ جديد ينهضُ بالمسلم إذا أحسنَ الدرسَ فيه بأدبِ طالب العلم حامل الدعوة، مع إضافة الجديد حسب ضرورة واقعنا الحاضر ومتطلبات النهضة فيه. قام الأستاذ إحسان قاسم إصلاحي بترجمتها عدد إلى اللغة العربية. عاش آخر عمره في إسبارطة منعزلاً عن الناس، وقبل ثلاثة أيام من وفاته اتجه إلى أورفه دون إذن رسمي حيث عاش يومين فقط فكانت وفاته في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ .عبد القادر بادللي، بديع الزمان سعيد النورسي. ج/١ ص٥٨٣. الملا محمد زاهد الملا زكردي لمحة سريعة من خلاصة حياة الإمام الجليل بديع الزمان ص٥٠. بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، الهامش، ص ٣٥ بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٧٧ ٢٧٨.

الإسلام دين التوحيد بفتنة اللادينية أو العلمانية، وتراكض الضعفاء والمنهزمين متسللين إلى جحورهم. وتسللت هذه النزعة المادية مسرعة إلى بلاد الشرق الإسلامي، فأصبح بعض المسلمين مشغولين فقط بإشباع رغباتهم المادية.

لقد أدرك النورسي بثاقب فكره الحقيقة الإنسانيَّة الجامعة بين الاعتبارات المادية والمعنوية، وبين متطلبات الجسد والروح، لأنّ الإنسان شأنه في ذلك شأن بقيّة الكائنات الحية، محكوم في وجوده بجملة من الغرائز والحاجات التّي تتأصّل في تركيبته الفيزيولوجيّة والبيولوجيّة. فالإنِسان تبعاً للواقع بسبب هذه الضّرورات الحيويّة بالذّات.

يقول بديع الزمان: (نشاهد في الموجودات جميعها ولا سيما الأحياء منها افتقاراً إلى حاجات مختلفة ومطاليب متنوعة لا تحصى، وإن تلك الحاجات تساق إليها من حيث لا تحتسب وتلك المطاليب تترى عليها كل في وقته المناسب علماً بأن أيدي ذوي الحاجة تقصر عن بلوغ أدنى حاجاتها فضلاً عن أوسع غاياتها ومقاصدها، فكل كائن منها يشهد بفقره وحاجاته المقضية من غير حول منه ولا قوة على الواجب الوجود ويشير بها إلى وحدانيته سبحانه).[١]

تعريف الحاجة:

يمكن تعريف الحاجة بأنّها: الرغبة في مطلب أو مجموعة مطالب إنسانيَّة مقابل الموارد الاقتصاديَّة المتاحة، بحيث يؤدّي تحقيقها والاستجابة إليها إلى إنماء تطوير الطاقات البشريَّة المستخلفة في عمارة الأرض، في ضوء نمط الاستهلاك الإسلاميّ ومحدّداته.

وعرّفها بعضهم بأنَّها: (تعبير عن مطلب أو مجموعة مطالب للإنسان تّجاه الموارد الطبيعيّة له، يؤدّي تحقيقها وتلبيتها إلى إنماء طاقاته اللازمة لعمارة الأرض).[٢]

والحاجة عند الإمام النورسي هي: (الرزق الحقيقي الذي تتوقف عليه حياة المرء، ويستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضروري مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه ولا التضحية بشرفه وعزته).[٣]

---

(١) الكلمات ص ٨٣٤

(٢) عابد عبد العزيز، مفهوم الحاجات وأثره على الإنماء الاقتصادي، بحث منشور في مجموعة أبحاث المؤتمر الأوّل للاقتصاد

(٣) الشعاعات من كليات رسائل النور، ص٢٣٤

وهكذا يتبيّن، من خلال هذا الفهْم الربط بين الحاجة والهدف الذي تبتغيه، بحيث يصلح الوصف علّة تكمن وراء أيّ اعتبار شرعيّ بما يجعلهما - الحاجة والعلّة – من جنس واحد، ويُصير الحاجة حلقة ربط بين التنظيم الاقتصادي وعمارة الأرض، بما يكشف عن أنّ لها دوراً هامّاً وطابعاً وظيفيّاً خطيراً، عن دورها في أوجه النشاط الاقتصادي من خلال استقرائه، أو تبيّن آثاره في النظريّة الاقتصاديّة الإسلاميّة.

قال النورسي رحمه الله: (أودع الله في الإنسان رغبة ملحة شديدة للبقاء، فلا يحقق له هذه الرغبة إلا من يتصرف في الكون كله بسهولة مطلقة، يفتح باب الآخرة بعد أن يسد باب دار الدنيا، كفتح باب منزل وغلق آخر. ففي الإنسان ألوف من الرغبات الإيجابية والسلبية، أمثال هذه الرغبة، رغبة البقاء، تلك الرغبات ممتدة إلى جهة الأبد والخلود ومنتشرة في أقطار العالم كله.[١])

وطاقة، ترتبط بروحه وقلبه وعقله وسائر أعضاءه جسمه وأجهزته، تولد هذه الطاقة إحساساً شديداً بضرورة التجاوب معها، بوسيلة من الوسائل المناسبة، التي من شأنّها أن تغير من ذلك الإحساس الشديد، أو تبقي عليه على نحو يُمكِّن الإنسان من القيام بنشاطاته بشكل إيجابي ومؤثر.[٢]

أنواع الحاجات:

إن أي مجتمع باعتباره كياناً قائماً بذاته، لابد له من أسس يبنى عليها، وتكاد تكون هذه الأسس مشتركة بين المجتمعات كلها، بيد أن المجتمع الإسلامي تميز عن غيره في هذا المجال وكان تميزه من جهتين: أما الأولى: قال النورسي: (فاعلية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، بما فيها من ألماس وجواهر ودرر الأحكام وما حط قيمته إلا الجهل الذي يحط من قيمتها وينّفر طالبيه من متحري الحقيقة)[٣] إذ لا قيمة لأي أساس لا تكون العقيدة والشريعة متمثلة فيه قائمة عليه، وهذا ما ظهر جلياً في التربية النبوية للمسلمين أفراداً وجماعات بخاصة في العهد المكي الذي مهد الطريق للأسس الأخرى لتصبح مكونات معتبرة لهذه الأسس وبينا كيف أن الإسلام صبغها بصبغة عقدية وصاغها صياغة إسلامية، ومن هنا كان التميز وكانت الآثار الإيجابية.

---

(١) المرجع السابق، ص١٩

(٢) رفعت المحجوب، الاقتصاد السياسي، ص٦٧

(٣) صقيل الإسلام، ص ٦٦

أما الثانية فإنّه بما أوجده من مواصفات، وبما وضعه من اعتبارات تجاه هذه الأسس، فجاء هذا المجتمع متميزاً بتميز أسسه.

ويكون في حُكم المُسلَّمات تقسيم الحاجة الاقتصاديّة إلى ما هو مادّي ، وما هو معنويّ.

وهذا التصنيف تكاد تتّفق فيه جميع الفلسفات الموضوعيّة عند الحديث عن الحاجة وأنواعها، إلاّ أنّ هناك مَن يُغلّب نمطاً على آخر حسب التوجّه الغالب على الفلسفة التي تسيطر على النظام الاقتصادي السائد. فالنُظم الرأسماليّة تعتني كثيراً بالحاجات الفرديّة، والنظم الجماعيّة تعتني بالحاجات العامّة، ويكاد يكون الاعتناء بالحاجات الماديّة أمراً متّفقاً عليه بين تلك النُظم.

أما عند الإمام النورسي: (أي حقيقة إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة وبخاصة ذوي الأرواح وبخاصة العاجزين والضعفاء وبخاصة الأطفال والصغار على وجه الأرض كافة وفي جوفها وفي جوها وفي بحرها، إعطاءهم أرزاقهم كافة سواء المادية المعدية منها أو المعنوية القلبية بكل شفقة ورأفة وذلك من الأطعمة المعمولة من تراب بسيط يابس ومن قطع خشب جافة جامدة كالعظم وبخاصة إخراج ألطف تلك الأطعمة من بين فرث ودم وإخراج كميات هائلة من الأطعمة من بذرة واحدة صلدة كالعظم وهي لا تزن درهمًا؛ فإخراج كل ذلك في وقته المناسب وأمام أنظارنا إخراجا مقننًا دون نسيان أحد أو التباس أو خطأ لهو حقيقة الإرزاق من لدن يد غيبية. نعم،إن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات:٥٨) التي تخصص الإعاشة والإنفاق وتحصرها في الحق سبحانه وتعالى. وكذا الآية الكريمة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود:٦) التي تأخذ أرزاق الناس والحيوان جميعها تحت تعهد الرب سبحانه وكفالته. وكذا الآية الكريمة: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا ﴾ (العنكبوت:٦٠) التي تثبت وتعلن بان الله سبحانه هو الذي يتكفل - كما هو مشاهد - بأرزاق المساكين والضعفاء والعاجزين وأمثالهم ممن لا يستطيعون أن يتداركوها، فيرسلها إليهم من حيث لم يحتسبوا، ومن مصادر لا تخطر لهم على بال، بل من الغيب، بل من غير شيء).[1]

(١) الشعاعات، الشعاع السابع، ص٢١٩.

تنوعت الحاجات التي تتطلب الإشباع عند الإنسان إلى حاجات محسوسة، كحاجة الإنسان إلى الغذاء والكساء، أو حاجات محسوسة غير ملموسة للإنسان، كحاجته إلى خدمات الطبيب والمعلم هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّ الحاجات تنقسم إلى فطرية أو جسمانية كالحاجة إلى الطعام والشراب والغطاء والكساء، وحاجات غير فطرية ويطلق عليها الحاجات المكتسبة كالحاجة إلى التعليم والترفيه.[١] ومن جهة ثالثة تقسم الحاجات إلى حاجات أساسية لكل فرد من أفراد الرعية، من طعام وشراب وملبس ومسكن ومركب. وحاجات للرعية ككل مثل ضمان الأمن والرعاية الصحية وإشاعة النظافة في المجتمع، والعناية بالتعليم. وحاجات ثانوية أو كماليَّات، كالحاجة للأجهزة الإلكترونية، أو أنوع معيَّنة من الشراب أو الطعام.[٢]

ولقد ضل الغربيون بقولهم أن حاجات الإنسان الأساسية غير محددوه لكن الثابت أن حاجات الإنسان الأساسية من حيث هو إنسان لا تزيد، وإنّما الذي يزيد ويتجدد هو حاجاته الكمالية. فالزيادة في الحاجات التي تحصل مع تقدم الإنسان في حياته المدنية إنّما هي الحاجات الكمالية.

قال النورسي: (والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازًا من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية. وهكذا محيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجًا إلى أشياء أربعة، بينما، أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة).[٣]

المال كضرورة حاجيَّة

يرى الإمام النورسي أن المال يعتبر ضرورة من ضروريات الوجود البشري، ومقوماً من مقومات الحياة التي لا غنى للإنسان عنها في قوته ولباسه ومسكنه، بالمال يشبع حاجاته الضرورية، وقد وصف لنا ابن أخيه عبد الرحمن كيف يتعامل الإمام مع المال

(١) مختار حمزة، مرجع سابق، ص٧٤

(٢) سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف،١٩٩٢م، ص٢٤٧

(٣) الكلمات ص ٩١٤

قائلاً: (كنت أراقب حالاته، فما كان يأخذ من المرتّب المخصص له سوى ما يقيم أوده، وعندما يستفسر عن سبب ذلك كان يقول: أريد أن أعيش كالسواد الأعظم، فهم يتداركون معيشتهم بهذا القدر من المبلغ، ولا أريد أن اتبع الأقلية المسرفة وبعد أن يضع المبلغ المخصص لحد الضرورة يدفع الباقي إلّي قائلاً: احفظ هذا. ولكني كنت اصرفه دون علمه مستندًا إلى شفقته الواسعة. ولكن يومًا قال لي: لا يحل لنا هذا المال، لأنّه ملك الأمة، فلم صرفته؟ فقد عزلتك عن صرف المال، ونصبت نفسي بدلاً عنك).[١]

وقال النورسي: (اختلط المال الحرام بالحلال اختلاطًا شديدًا حتى استحال تمييز أحده عن الآخر وأصبح بمثابة الأموال المشبوهة، فيقنع بمقدار الضرورة من الإعاشة العامة - التي يشترك فيها الجميع ضمنًا – ليكون حلالاً فيقابل القدر الإلهي بالرضا بدلاً من الشكوى.)[٢]

ويرى النورسي: أن المال ليس غاية في ذاته، وإنّما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج وتحقيق المآرب، فمن استعمله في هذا السبيل كان المال في يده خيرا له وللمجتمع، ومن استعمله على أنّه غاية ولذة، انقلب إلى شهوة تورث صاحبه المهالك، وتفتح على النّاس ألوان من الفساد، وهكذا فالمال هو الأداة التي يستعين بها الإنسان على قضاء مآربه والحصول على مطالبه وهو روح الحياة وزينة الدنيا قال الله تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف:٤٦) قال النورسي رحمه الله: (نحب الدين ونحب الدنيا أيضًا لأجل الدين، ولا خير في الدنيا بلا دين)[٣]

وقال أيضاً: (اجل! إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي وهو

---

(١) يا ابني.. يا عبد الرحمن! إن الحكومة كانت تعطينا مرتبًا كبيرًا وليس لي أن آخذ منه إلا كفاف النفس، أما ما زاد عن ذلك، فيجب إعادته إلى بيت المال، لذا فإنني قمت بإعادته إلى المسلمين، ولا اعتقد بأنك ستفهم هذا ولكن اعلم بان الله إن شاء فسيعطيك بيتًا في أي مكان كان من هذا الوطن، سيرته الذاتية ص ٢١٨

(٢) الملاحق ص ٦٦

(٣) الخطبة الشاميّة، ص٨٤

وسيلة قويةَ لإحساس ما في النعم ولآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعمٍ تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحِكَم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة).[١]

فمن طلب المال ليحفظ به كرامته ويصون عرضه ويربي أولاده تربية صالحة ويصل به ذوي قرابته ويواسي منه الفقراء والبؤساء ويحسن إلى جيرانه وينفق منه ما أوجبه الله عليه ويساهم بشطر منه في أعمال البر والخير ويستمتع بما أباحه الله له من الحلال الطيب من غير إسراف ولا تبذير فهو السعيد الموفق وعكس ذلك التعيس الشقي، ونجد الإسلام يرغب في تملكه حيث إن عَمْرَو بن الْعَاصِ يقول (بَعَثَ إلي رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلاَحَكَ ثُمَّ ائتني فَأَتَيْتُهُ وهو يَتَوَضَّأُ فَصَعَّدَ في النَّظَرَ ثُمَّ طأطأ فقال إني أُرِيدُ إن أبعثك على جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ الله وَيُغْنِمَكَ وارغب لك مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً قال قلت يا رَسُولَ اللهِ ما أَسْلَمْتُ من أَجْلِ الْمَالِ ولكني أَسْلَمْتُ رَغْبَةً في الإِسْلاَمِ وَأَنْ أَكُونَ مع رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال يا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ).[٢]

والمال الصالح هو المال الذي يكسبه صاحبه عن طريق شرعي بعيداً عن وسائل الظلم والغش والخداع.

المال ضرورة من ضروريات الحياة:

اعتبر الإسلام المال ضرورة من ضروريات الحياة التي لا غنى للإنسان عنها فهو يعتبر من المقاصد الهامة والضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية للمحافظة عليها كمصالح عليا للإنسان .

وبالرغم من أن المال ضرورة من ضروريات الحياة إلا إنّه لا يخلو من الآفات ومضار ويمثلها لنا الأمام النورسي في ما يلي:

أ- انه يجرّ إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة، والعجز قد يحول بين المرء والمعصية، والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي ونوازع الشهوة، وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة، إذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

---

(١) اللمعات، رسالة الاقتصاد، ص ٢٠٥

(٢) أحمد ابن حنبل، مسند الإمام احمد، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢ ١٩٧٨م، ج٤، ص،١٩٧.

(كان البشر في عهد البداوة تعوزهم ثلاثة أو أربعة أشياء، وكان اثنان من كل عشرة أشخاص يعجزان عن تدارك تلك الأشياء الثلاثة أو الأربعة. بينما في الوقت الحاضر تحت سطوة المدنية الغربية المستبدة، المتميزة بإثارة سوء الاستعمال، والدفع إلى الإسراف، وتهييج الشهوات، وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية في حكم المطالب والحاجات الضرورية؛ فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حب التقليد والإدمان مفتقراً إلى عشرين حاجة بدلاً من أربع منها ضرورية. وقد لا يستطيع إلّا شخصان من كل عشرين شخص أن يلبوا تلك الحاجات العشرين من مصدر حلال بشكل مباح. ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء. فهذه المدنية الحاضرة إذاً تجعل الإنسان فقيرًا جدًا ومعوزًا دائمًا، ولقد ساقت البشرية - من جهة تلك الحاجة - إلى مزيد من الكسب الحرام، والى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن، وشجعت طبقة العوام المساكين على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص).[1]

ب- إن المال يجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض إلى البعض، فإذا اشتد أنس به وربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض المداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس فلا بد أن ينافقهم ويعصى الله في طلب رضاهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي أيضا إلى سائر الجوارح وكذلك ذلك يلزم من كسب المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه.

قال النورسي: (هو الرزق المجازي، فالذي يسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلّى عن الحاجات غير الضرورية، التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء التقليد. وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً راضياً بالذل، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس

(١) الملاحق، أميرداغ ١٣٤.

منحطين وضيعين، لا بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحوق بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة.)[١]

ج- وهو النوع الذي لا ينفك عنه أحد، وهو أن يلهيه الحرص عن ذكر الله وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك أشار القرآن إلى هذا بقوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر:١) فكل صاحب مال سوء كان حرثا أو عقارا أو عينا أو ماشية أو تجارة متحركا أو مكنوزا فانه يكون مشغول الفكر وقلبه مرهون به بحفظه وكسبه فإذن ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي في الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات.

قال النورسي: (إن الحرص يتلف الإخلاص ويفسد العمل الأخروي)[٢]

وخلاصة القول أن المال ضروري، وأنّه خلق لمنافع الإنسان ومصالحه، فهو وسيلة لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، ولا يذم لذاته بل يذم لمسلك الإنسان به، لأنه قابل لتحصيل عمل الخير به أو الشر كذلك، وخير الناس من عرف فوائده، وآفاته لان ذلك يدعوه إلى اجتناب الآفات والمضار، ومن هنا نفهم السر في ذكر القرآن للمال في معرض الذم وذكره له في معرض المدح فالذم يرجع إلى فعل الإنسان في المال.[٣]

عناية الأحكام الفقهيَّة بإشباع الحاجات

يعتبر إشباع الحاجات الأساسية بالنسبة للإنسان الأمر الأساسي في الاقتصاد الإسلامي ويتوقف على تحقيقه الأمر الثاني في الاقتصاد الإسلامي وهو إشباع الحاجات الكمالية لأفراد المجتمع المسلم.

فيتتبع العديد من الأحكام الاقتصادية في الفقه الإسلامي توصل إلي أنّ الأمر الأساسي في الاقتصاد الإسلامي تحقيق إشباع للحاجات الأساسية للإنسان في المجتمع الإسلامي وإتاحة أكبر قدر ممكن من الفرص لإشباع حاجاته الكماليَّة.

وأهم هذه الأحكام إباحة الملكية، وإباحة العمل، ليس هذه الأحكام فقط فإنّ هذه الأحكام إنّما تُمكِّن الأقوياء من الملكية والعمل، وتُمكِّن فقط الواجدين منّهم للعمل، أمّا من لم يجد عملاً من الأقوياء، والضعفاء والعاجزين فإنّهم يتمكنون من إشباع

(١) اللمعات، رسالة الاقتصاد ص٢٠٥

(٢) اللمعات، ص٢٢٢

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣ ص٢٣٧

حاجاتهم الأساسية بواسطة أحكام شرعية أخري تحقق الإشباع التام للحاجات المتبطلين عن العمل والضعفاء من ذوي الاحتياجات الخاصّة وغيرهم.

جعل الإسلام العمل فرضاً على القادر من الذكور إذا كان يحتاج إلى إشباع شيء من هذه الحاجات، أي إذا كان محتاجاً للنفقة.

قال النورسي: (إن اسم "رب السموات والارض" قد أشرق من برج قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك:١٥) وجعل الأرض سفينة آمنة سالمة تمخر عباب بحر الكون الواسع بانتظام دقيق دائرة حول الشمس لأجل حكم كثيرة ومنافع شتى، مشحونة بذوي الحياة وما يلزمها من أرزاق، وهي تجلب محاصيل المواسم للمحتاجين إلى الرزق)[١]..... وقد وهبت لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أنى قد زودته- بمقتضى حكمتي - ما يناسب تلك القابلية الفطرية من مواهب واستعدادات يتمكنا من إن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدر ك. وعلى الرغم من أن الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه إلا إنّه يتمكن من بلوغها بنوعه. وإن لم يستطع بلوغها ماديًا، فإنّه يبلغها معنويًا - كما يحصل للأولياء الصالحين - فباستطاعتكم إذا الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم .فسارعوا إلى العمل الجاد واسعوا سعيًا حثيثًا كي تحولوا الأرض إلى ما يشبه حديقة صغيرة غناء، تجولون فيها وترون جهاتها كلها وتسمعون إحداثها وإخبارها من كل ناحية منها غير ناسين وظيفة عبوديتكم. وهكذا نرى كيف تومئ الآية الكريمة المتصدرة لهذا المثال إلى إثارة همة الإنسان،وبعث اهتماماته لاكتشاف وسيلة يستطيعا إحضار الصور والأصوات من أبعد الأماكن وأقصاها ضمن أدق الصناعات البشرية).[٢]

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَأَنْ يَأْخُذَ أحدكم حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ على ظَهْرِهِ خَيْرٌ له من أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أو مَنَعَهُ).[٣] وعن مَالِكِ بن أَنَسٍ فِيمَا قُرِئَ عليه عن نَافِعٍ عن عبد اللهِ بن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال وهو على الْمِنْبَرِ وهو يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عن الْمَسْأَلَةِ (الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ).[٤]

---

(١) الشعاعات، ص٦٧٢

(٢) الشعاعات، ص٦٨٢

(٣) صحيح البخاري، باب الاستعفاف عن المسألة، ج/٢، ص ٥٣٥

(٤) صحيح مسلم، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ج/٢، ص ٧١٧

فرض الإسلام النفقة للأنثى مطلقاً إذا كانت فقيرة سواء كانت قادر على الكسب أم عاجزة عنه، فإنّه لم يجعل عليها كسباً بل فرض لها النفقة مطلقاً، وفرض كذلك للعاجز من الذكور إذا كان فقيراً سواء كان عاجزاً عن الكسب فعلاً كأن يكون غير قادر على العمل أو كان عاجزاً حكماً كأن كان قادراً على العمل ولكنه لا يجده، فكل منهما عاجز تجب له النفقة.

أما من الذي يقوم بالنفقة، أي من الذي يتولى عملياً إشباع هذه الحاجات الأساسية فقد عينه الشرع تعييناً واضحاً بأدلة صريحة الدلالة.

فرض النفقة للزوج على الزوجة وبيّنها بأنّها المأكل والملبس والمسكن: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ (الطلاق: ٦) وقال: رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم (....فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.....)[1] وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أن أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ من مَالِهِ سِرًّا قال: خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ ما يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ)[2]. فهذه النصوص صريحة في وجوب النفقة للأولاد على أبيهم.

وفرض النفقة للأب وللأم على أولادهما ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسْرَاءِ: ٢٣).

وعن بَهْزِ بن حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّهِ قال قلت يا رَسُولَ اللهِ من أَبَرُّ قال: (أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه على شرطهما. وقال الحاكم رحمه الله تعالى ثم وجدنا لهذا الحديث شواهد في الصحيحين.[3]

---

(١) صحيح مسلم، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج/٢، ص ٨٩٠

(٢) صحيح البخاري، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع، ج/٢، ص ٧٦٩

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة، ج/٤ ص ١٦٦

فالنفقة تدخل في قوله إحساناً، لأنّ من الإحسان الإنفاق عليها عند الحاجة. وهذه النصوص يستنبط منّها أن النفقة للأبوين واجبة على أولادهما.

وفرض النفقة على القريب ذي الرحم المحرم لقريبه ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٣) وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لرجل سأله عندي دينار قال: (أنفق على نفسك) قال: غيري قال: (أنفق على أهلك) قال: عندي آخر قال: (أنفقه على محارمك).[١] وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ).[٢] وقال: (يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك).[٣] فهذه النصوص نستنبط منها أن نفقه القريب واجبة على قريب ذي الرحم المحرم لأن دليل وجوبها في الآية واضح في عطف الوارث على المولود، له في وجوب النفقة إذ قال: (وعلى المولود له) ثم عطف على ذلك بقوله: (وعلى الوارث مثل ذلك)، وفي الأحاديث (أنفق على أهلك) وكلمة أهل يدخل فيها القريب المحرم، وقال ثم أدناك أدناك وأدنى أقرب، فتكون هذه النصوص دليلاً شرعياً على وجوب نفقة القريب على قريبه.

وهذه النفقة تحصلها الدولة مِن مَن فرضت عليه، وتعتبر مقدمة على سائر الديون. وبضمان النفقة للزوج والأبوين والأبناء وكل ذي رحم محرم قد ضمن إشباع الحاجات الأساسيَّة لجميع أفراد المجتمع.

واحتاط الشرع لتلبية حاجات من لا رحم له محرم، وضع تدابير تكفل للمنفقين حاجات منفقيهم في حالة عجزهم عن الإنفاق عليهم.

---

(١) أبو داود، السنن، باب صلة الرحم ج/٥ ص ١١

(٢) صحيح البخاري، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ج/5، ص ٢٠٤٨

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة، ج/٢، ص ٦٦٨

فقد نقل الشارع النفقة لمن لا رحمه له وفي حالة عجز المنفقين عن النفقة إلى بيت مال المسلمين أي إلى الدول، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تَرَكَ كَلًّا فَإِلَيَّ وَرُبَّمَا قال إلى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ وأنا وَارِثُ من لَا وَارِثَ له أَعْقِلُ له وَأَرِثُهُ وَالْخَالُ وَارِثُ من لَا وَارِثَ له يَعْقِلُ عنه وَيَرِثُهُ)[1] فهذا دليل عن على أن النفقة واجبة على الدولة، وهذه النفقة مقدم صرفها على كل صرف، وهي مستحقة على بيت المال في حالة الوجود والعدم، فإن وجد في بيت مال المسلمين مال صرف للنفقات، وإن لم يوجد فيه مال وجب على الدولة أن تفرض ضرائب استثنائية على المسلمين، وتحصلها منها كسائر الضرائب، تقوم بصرفها على النفقات.

الخاتمة

أ- النتائج:

١- الصلة الوثيقة بين المقاصد العامة للشريعة الإسلاميَّة المتمثلة في الكليات الخمس، والأحكام الفقهية عموماً، إن المقاصد العامة بمثابة الأهداف، والأحكام الفقهية بمثابة الوسيلة الموصلة لتحقيق تلك الأهداف.

٢- عناية الأحكام الشرعية بتلبية الحاجات الضرورية بتقديم الخدمات والسلع، في كآفة مناحي الحياة.

ب- التوصيات:

١- إفراد مفهوم الحاجة بالدراسة والبحث والتحقيق.

٢- تشجيع الباحثين في المجالات المختلفة للخدمات والاحتياجات بتقديم الخطط والدراسات اللازمة لذلك.

٣- تفعيل الدور الإعلامي لرفع مستوي الوعي بالحاجات الضروية.

---

(١) سنن أبي داود، باب في مِيراث ذَوي الأرحام، ج/٣ ص ١٢٣

المصادر والمراجع

١. أبو داود، سنن أبي داود.

٢. أحمد ابن حنبل، مسند الإمام احمد، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢ ١٩٧٨م.

٣. النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

٤. النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

٥. النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

٦. النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢..

٧. النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

٨. النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.

٩. الحاكم، المستدرك على الصحيحين.

١٠. رفعت المحجوب، الاقتصاد السياسي.

١١. سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف،١٩٩٢م.

١٢. صحيح البخاري.

١٣. صحيح مسلم.

١٤. عابد عبد العزيز، مفهوم الحاجات وأثره على الإنماء الاقتصادي ، بحث منشور في مجموعة أبحاث المؤتمر الأوّل للاقتصاد الإسلامي.

١٥. عبد القادر بادللي، بديع الزمان سعيد النورسي.

١٦. الغزالي، إحياء علوم الدين.

١٧. الملا محمد زاهد الملا زكردي لمحة سريعة من خلاصة حياة الإمام الجليل بديع الزمان.